

SHEIKH 'ADDA BENTOUNES
الشيخ عطة بن تونيس



Document tiré du livre *Soufisme, l'héritage commun*, par Cheikh Khaled Bentounes, Zaki Bouzid Edition, 2009.

A l'occasion de la célébration du décès, le 4 juillet 1952 du cheikh El Hadj Adda Bentounes.

4 juillet 2020

الشيخ عدة بن تونس (1898-1952)



استقر البحر تحت القارات ورحب بالكل بداخله،
أكان نقياً أو متسخاً ،
الساقية العظيمة و الوادي المهول؟ يستقبلهم
و يهدأمن روعهم؟
مجري المياه بالمدينة؟ يغسلها و يطهرها
حتى الأجسام النتنة التي جردها من عظامها
و من أعماقه يهبنا اللؤلؤ و المرجان
و من هوائه القوة و الصحة
المرشد رقم 52 سبتمبر 1951

إن تقديم الشيخ الحاج عدة بن تونس أو مؤلفه ليس بالأمر الهين. فولأوه معلمه الشيخ أحمد العلاوي وقربه منه إلى غاية أواخر أيامه قد كونا روحه وهذباها. لقد كان الشيخ بلورة خالصة ذات أوجه عدة يسطع من كل واحد منها بريق فريد، فهو الذي ترك ذكرى لا تنسى في نفوس جميع من عرفوه. لقد أثارت هذه الشخصية الفذة التي فضلت طريق الله وعكفت على تنوير القلوب و الوعظ على الأخوة بين البشر، شهادات عدة بل متناقضة، مما يسלט الضوء على الطابع الاستثنائي لشخصية هذا الرجل الذي بات قدره معروفا منذ احتكاكه أول مرة بالشيخ العلاوي، الذي كان مقدما آنذاك، وهو لم يتجاوز سن الثامنة، وقد ارتسم دربه من ذلك الحين. فقد كرس ذاته للتعليم الظاهري والباطني الذي تلقاه على يد أبيه الروحي.

لقد حظي "جون بيبس"، عام 1952 وهو في التاسعة عشر من عمره، بمعرفة هذا الرجل بزاوية مستغانم. وكتب في مؤلفه المعنون طرق الصالحين: "لقد بات الشيخ عدة" وليا صالحا وأسس منزله في "نفس الألفة الإلهية". إنه حاضر دوما في ذاتي مثلما هو حاضر في ذاته بالعمامة التي تلو رأسه وجلابته الفضفاضة البيضاء والحريرية، التي أصبحت كفه، ومسيحته الملقوفة بعنقه التي تحمل أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين من دون الاسم المائة الذي بقي غير معروف ولا يلفظ، أسماء تدل على "كمال" الله وعلى الجوهر الكوني الذي يحتويه الجوهر المتأصل في العالم. ومن روحه ينبعث التواضع والحب والصبر والحلم والبساطة".



الشيخ الحاج عدة - 1946

بالمقابل : الشاب عدة و عمره 19 سنة

المولود المهيأ في سابق الاقتدار

كان عدة بن عودة بن تونس من زوجته الثانية نورية بن خرخوش، ينتمي إلى عائلة متواضعة و تقيّة. كان والده، المكنى بالمليك لأناقته وكرمه، جزاراً وفي الوقت ذاته مقدّماً في الزاوية الشاذلية التي أرساها الشيخ قدور بن سليمان بمستغانم.

في أحد الأيام أخبر بن عودة شيخه بحياء: "ولد لدي توأم ذكر...". فأجابه الشيخ: "لازلنا ننتظر أن يهبك الله بولد يدعى عدة (وهو اسم عدة بن غلام الله شيخ الطريقة الدرقاوية الشاذلية المدفون بتيارت)". تعجب بن عودة "ابن آخر!" فأجابه الشيخ "أجل، سيكون عمادا للطريقة وسيزرع الخير بين البشر".

ولد أصغر الإخوة في 13 جمادى الثانية 1319 هـ / 29 أكتوبر 1898م بتيجديت حي العرب بمستغانم وتلقى تربية تقليدية على غرار أترابه. أدخله والده مدرسة الشيخ بلحميسي حيث تعلّم القراءة والكتابة وحفظ القرآن والأحاديث وتلقى دروس الفقه والنحو. عندما بلغ سن الثامنة رأى أكثر إخوته تعلّماً، وهو بدوره تلميذ الشيخ البوزيدي، رأى أن يصطحبه لمتابعة دروس المقدم العلاوي بالزاوية. ومنذ ذلك، لم يأن عدة يوماً عن ارتياد الزاوية لحضور الدروس. وقد حظي لنباهته وذكائه باهتمام معلمه و حبه. وموازة لذلك، تعلم مهنة الإسكافي، أما أخوه منور، فقد أصبح إماماً وخطيباً ومدرّساً للفقه في مسجد سيدي محمد إلى أن وافته المنية. وبعد وفاة الشيخ عدة، أصبح عضواً في مجلس الحكماء الذي يرأسه الحاج المهدي بن تونس.

المريد المقرب

عندما أصبح العلاوي شيخاً للطريقة سأل يوماً مريديه عن فائدة صحبته، فأجابه عدة "منذ أن صرت أرتاد الزاوية أصبح الجميع يناديني "سيدي عدة". لقد حظيت بتقديرهم وبتقديرك أيضاً".

وقد اهتم الشيخ العلاوي شخصياً بتربيته الروحية، رغم صغر سنه، من خلال حلقات الذكر والشرح الباطني لمؤلفات كبار المتصوفة. كما تعلم بسهولة ترتيل القرآن والسماع، وسرعان ما أصبح أفضل "مسامعي" بالزاوية العلاوية بفضل صوته الجميل. والواقع أنه كان أحد التلاميذ المقربين من الشيخ رغم أنه لم يتعدَ آنذاك سن العشرين، وهو الذي صرح في وقت لاحق بما يلي: "لقد رباني شيخنا العلاوي الموقر منذ طفولتي، وأنا أعرف جوهره، أعرف حقيقة معنى ما قاله وكتبه... لقد رباني في مدرسته، لقد شاطرنى حياته الخاصة وعشت ما عاشه هو".

استدعي إلى الخدمة الوطنية عام 1918 حيث جند في الوحداتين 2 و6 للقناصين الجزائريين. وأدخل إلى الثكنة التعاليم التي تلقاها بالزاوية. لقد أبدى تعاطفاً مع زملائه الجنود وكان يحثهم على التحلي بالسلوك الحسن واتباع الدين وحب الذكر. ويروى أنه كان يسير في كل مناورة إلى جانب زملائه وهو يردد المدائح، الأمر الذي كلفه مجلساً تأديبياً.



صورة الرجل الشاب بمناسبة حفل زفافه - 1924



عقد التبنّي لسيدي عدة
من طرف الشيخ العلاوي

وفي سنة 1922، حظي بموافقة شيخه للذهاب إلى الزيتونة بتونس لصقل معارفه في أصول الدين محققا بذلك أعز أعلامه. وبعد مرور سنتين، استدعاه الشيخ ليحل محل ابن أخيه المقدم محمد بن عليوة الذي كان مريضا. من ثم تزوج خيرة بن عليوة ابنة أخت الشيخ العلاوي التي رباها كابنة له على السنة المحمدية منذ سن الثامنة. "وكرس الشيخ عدة ذاته بالكامل على العمل كمشرف ومحرر لمجلة "البلاغ الجزائري"، وكسائق لشيخه، وقد حظي بذلك بامتياز العيش بالقرب منه، امتياز تمنى الكثيرون أن يحصلوا عليه.

إذ رافق الشيخ في كل تنقلاته عام 1928 سيما إلى فاس ومكناس والرباط بالمغرب.

وفي عام 1930، خرج معه في أول رحلة حج إلى مكة ثم إلى المدينة، كما رافقه في زيارته التي قادته إلى فلسطين وسوريا ولبنان.

وفي عام 1934 عندما أحس الشيخ العلاوي بدنو أجله، أنزله منزلة ابنه ووضع جميع أملاكه تحت تصرفه وذلك أمام القاضي الحنفي مستغانم: تنص المادة 4 من عقد الوصية KK38 رقم 594 لمحكمة مستغانم: "أن الحبس بجميع أنواعه يكون

"وانتهت تعبئته سنة 1921 برتبة رقيب وبالطبع عاد بعدها إلى الزاوية إلا أن رجوعه إلى صحبة شيخه لم يرق والدته، ولما شعرت باليأس من رجوعه إليها، دعتة مرة وطلبت منه الابتعاد عن شيخه، حتى يكون لنفسه أسرة.

- دعك من الشيخ العلاوي وخذ هذه الحلي فهي لك وكون بها أسرة.

- وأنا بدوري أمنحها لك ودعيني مع شيخي".

(كتاب رجل الإصلاح ومربي الأرواح الذكرى الخمسون لوفاة الشيخ عدة بن تونس).



سيدي عدة طالب بجامعة الزيتونة - تونس - 1922



ثلاث أكبر مراكز مشهورة آنذاك لتدريس السنة:

- جامع الزيتونة الذي شيده حاكم أموي بتونس عام 732.
- جامع القيروان بفاس الذي شيده مهاجرون قيروانيون عام 862 وانتقل إلى سلطنة المرابطين.
- جامع الأزهر الذي شيده الفاطميون عام 972 بالقاهرة، ويعد من أشهر مراكز التعليم إلى يومنا هذا.

بالمقابل جامعة الزيتونة - تونس

تحت تصرف المنزل منزلة الإبن حضرة السيد بن تونس عدة ولد بن عودة الساكن بمستغانم يجري فيه حسب المنصوص عليه بدون ما يتعرض له أي أحد كان إلا إذا خرج عن مراد المحبس بحبسه خروجاً فاحشاً وهكذا يبقى جميع ما تقدم ذكره تحت يديه ما دام على قيد الحياة وبعد وفاته ينتقل إلى الصالح من أبنائه وإذا لم يوجد من النسل المستعد لذلك فينقل لمن صلحت سيرته وتحققت نجابته من الأتباع".



جامعة الأزهر - حلقات الدراسة بداخل المسجد



جامعة القرويين - فاس - المغرب

ساعة الجيب للشيخ



بطاقة التعريف للشيخ



برنوس أخضر للشيخ سيدي الحاج عدة





خروج المقدم سيدي عدة مرفوقا بجوصو و طابي من عند الشيخ العلاوي

الميراث الثقيل

"نعمد في توجيهاتنا على الحث على عودة الإنسانية عامة إلى الأخوة والسلام عبر ثقافة العبرة الحسنة، والتعاليم الدينية لتقويم الأخلاق من أجل معايشة الأخوة الصادقة وإحيائها لأنها موجودة نائمة في قلوبنا ككمون الزبد، وإذا تكلف كل الناس أن يجعلوا نصب أعينهم هذه الأخوة عليهم من الله أركى سلام' لاضمحت كل الفوارق والنزاعات ولعاشوا جميعا في سعادة ووثام لا تعرقله أية مشكلة".



صورة الشيخ سيدي عدة بمناسبة توليته كخليفة للشيخ العلاوي



يوم خلافته - مستغانم - 1934

خلف الشيخ عدة مريبه ومؤسس الزاوية بعد وفاته في فاتح رابع الثاني 1353هـ / 14 يوليوز 1934م. ليضمن بعد ذلك ديمومة عمله بالمضي في التعليم الروحي للتنوير الذي توفره الزاوية الأم بمستغانم وكذا عبر جميع الزوايا العلاوية الأخرى في كل من الجزائر والمغرب وفلسطين وسوريا والأردن ومصر والحجاز، إلخ.

فقد اجتمع جميع المريدين بعد الدفن لمبايعة الشيخ عدة بن تونس كمرشد روجي جديد" وذلك على أساس روابط الأبوة التي جمعت الشيخ بمريده والحنان الذي لم يكف يوما في إظهاره له وكذا على أساس رغبته بتنصيبه بعد موته مسيرا لجميع الأملاك المنقولة والثابتة للطريقة. فقد اختار الشيخ وهو مرشد الرجال أكثر مريديه نزاهة للاضطلاع بهذه المهمة، كما أن خصاله الروحية قد سمحت له بالسمو في المعرفة الروحية".

في الانتخابات أو في حلقات المرابطين المختلفة المنعقدة قبل الحرب أو بعدها". وبذلك أقر التقرير أنهم لم ينضموا لا إلى رابطة مشايخ زوايا الجزائر ولا إلى رابطة شمال إفريقيا التي كان يرأسها الشيخ الكتاني من فاس، ولا حتى رابطة زوايا المغرب الشرقي التي تأسست عام 1953 تحت إشراف الشيخ لعرد من قنادسة؛ كما أنهم لم يخوضوا يوماً حملة ضد الاستقلال. ولم يلتمسوا أبداً خدمة أو رشوة. ولم يشارك أي من ممثلي الطريقة العلوية في الاضطراب الذي أثاره الكلاوي والشيخ الكتاني للإطاحة بجلالة الملك محمد الخامس؛ ولا في حلقة المرابطين التي نظمت في فاس عام 1953. فالأمر باختصار لا يتعلق بحركة تقهقرية وإنما بطريقة، يحدوها الحماس النزيه، تستهجن كل ما يتعلق بهذا العالم وتقف بعيدة عن كل اضطراب، متميزة بذلك عن طرق عديدة أخرى، بل إنها لا تربطها بها أية صلة" (تقرير شوون).

وقد ألقى مقال نشر في مجلة "إسلامك ريفيو" Islamic Review الانجليزية في أوت 1952 الضوء على أهمية هذه الجماعة: "يوجد في إنجلترا جالية كبيرة من مسلمي عدن من اليمن تنتمي إلى الجماعة الصوفية التي أسسها الشيخ بن عليوة من الجزائر. أحييت الجماعة، هذه، احتفالها السنوي (الاحتفال) من 9 إلى 11 ماي في مدينة كارديف. جرت مراسيم الاحتفال تحت إشراف الشيخ حسن اسماعيل، وكان يساعده في ذلك السيد ناصر يحيى (المضيف) والسيد علي باشا (مستشار الجماعة). وقد شكلت المسيرة نحو الحي المسلم في كارديف أهم المظاهرات التي ميزت أيام الصلاة الثلاثة. وقد دعي إلى هذا الاحتفال المؤثر العديد من المسلمين القاطنين في مناطق ريفية نائية. إذ توافدوا على متن حافلات مكتظة من "بيرمنجهام" وغيرها من المدن الكبرى. وكان من بينهم أعضاء من مجلس المسلمين، نذكر منهم رئيس تحرير مجلة "إسلامك ريفيو" السيد اسماعيل محمد من مدينة يورك (أمين المجلس)، والعقيد عبد الله بينز- هيويت، وهو انجليزي مسلم معروف".



حسن إسماعيل عين من طرف الشيخ كمقدم وممثله بإنجلترا



عقد الحبوس رقم 763 بتاريخ 21 شتنبر 1931 حرر من طرف الشيخ العلوي منزلا الشيخ عدة منزلة الإبن من نفسه

إلا أن هذا الأمر لم يرق الجميع. فقد أعلن كبار المقدمين عن حركة انشاقية وكانت الدول تساعدهم في ذلك، أحيانا، سيما في الريف المغربي حيث الطريقة منتشرة بكثرة. فقد اتهم الإسبان الذين كانوا يحتلون شمال المغرب "الشيخ الحاج عدة" بكونه عميلا للدعاية الفرنسية ضد مصالح الإمبراطورية الفرنسية.

وقد جاء في مذكرة صادرة عن قنصلية فرنسا بملييلية وجهت في 14 من أوت 1945 للسفارة الفرنسية بالرباط ما يلي: "أبدت سلطات الانتداب الاسبانية قلقها إزاء النشاط والتقدم الذي أحرزته الزاوية العلوية والتي ترى فيها وسيلة من وسائل الدعاية الفرنسية". وقد كتبت جريدة "سييتي فيشاس" Siete Fichas بتاريخ ماي 1950 أن الطريقة العلوية "وسيلة لإعادة اسبانيا (باعتبار مستغانم مقر الجيش الفرنسي السري بشمال افريقيا) (...) تتولى إعطاء الأوامر السياسية وتلقي المعلومات كما تهيب جيشا مسلحا بالمسبحات ذات المائة حبة وبالدين المحمدي". وكانت تبعت ذلك أن منعت السلطات الاسبانية الشيخ من زيارة مريديه في الريف المغربي عقب الحرب العالمية الثانية.

وقد كشف العقيد "شوون"، رئيس مصالح الاتصالات الشمال افريقية في التقرير الذي أرسله إلى الحاكم العام للجزائر عقب وفاة الشيخ الحاج عدة حقيقة موقف الطريقة العلوية في خضم صراع المصالح الذي كان يهز المنطقة آنذاك، مقرا بأن "شيوخ الطريقة العلوية لم ينخرطوا يوماً في حزب سياسي كما أنهم لم يشاركوا

العلماء: بإنشائه للمدارس، وتأسيسه لصحف ناطقة باللغة العربية، والعمل على إيقاظ جموع المسلمين، وجعلهم متعصبين إذا لزم الأمر، وكذا تأجيج مشاعر القومية والوطنية في نفوسهم".

وتوصي تعليمية صادرة عن مركز المعلومات والدراسات لحكومة الجزائر العامة بتاريخ 5 جانفي 1948 ب: "مع حلول شهر مارس 1937، كتب محافظ مستغانم إلى محافظ وهران في تقرير أحقه بترجمة لقصيدة ألفها الشيخ عدة بن تونس: أن هذه القصيدة تتسم بالتوجه ذاته الذي تبناه عبد الحميد بن باديس في بدايات نشاطه: ضرورة نشر التعليم بين المسلمين والتمسك بالدين (...). وتوحيد الصف لذلك لا بد من مراقبة نشاطه عن كثب بين الأهالي حيث يمارس نفوذه".

ويوضح الشيخ خالد بن تونس: "كان الشيخ ضحية لأولئك الذين لم يفهموا بعده الروحي فأرادوا أن ينحصروا في التدين، وأولئك الذين دعوا إلى إصلاح يقضي بمعادة الطرق الدينية وأثنوا على العقلانية الغربية في مسعى لاستنهاض الجماهير المسلمة. ناهيك عن أن السلطات الاستعمارية آنذاك كانت تشتبه في وجود علاقات سرية تجمعها بالوطنيين الذين كان يستقبلهم في زاوية مستغانم تماما كما كان يستقبل الأوروبيين ليحث بعضهم بعضا على الاعتدال وتعزيز الوفاق في البلاد".

وفي سياق هذه الاحتجاجات الواسعة التي شنت ضده وهذا الجو الذي ميزته الشكوك والضغط بجميع أنواعها أضف إلى ذلك مرض السكري الذي كان يوهنه، وجد الشيخ نفسه أمام تحدي الاستمرار في نشر فكر سيده وتدريبه.



مقال بجريدة المنارة بتونس - 26 دجنبر 1952



مسؤولي الكشافة الإسلامية الجزائرية يقومون بالنظام أثناء احتفال 1948

وكان نشاط هذه الجماعة وحجمها كبيرين إلى حد اقتضى إرسال طلب إلى جامع الأزهر بمصر لإيفاد بعثات دينية. وتقول صحيفة "المصري" بتاريخ 11 مارس 1952 بهذا الصدد: "يعكف مشايخ الأزهر على النظر في طلب مسلمي كارديف في إيفاد أستاذ أصول الدين من جامع الأزهر الشهير بغية نشر مبادئ اللغة العربية وثقافتها".

وحتى في الجزائر، يعتبر بعض ممثلي الإدارة الاستعمارية الفعاليات الروحية العلوية وسيلة ملتوية لاستنهاض الجماهير وتعبئة الحركة القومية.

فالجنرال أندريه ب.ج. من أكاديمية العلوم الاستعمارية الذي أذهلته العقلية السائدة آنذاك قد وصف الشيخ بأنه شخصية مشتبه فيها قائلًا: "يبدو أن عقلية الطريقة العلوية قد تغيرت كثيرا منذ وفاة مؤسسها. وبات ابنه بالتبني، عدة بن تونس، خلفا له، والظاهر أنه لم يحتفظ سوى بالجانب الروحي للنظام دون أن يتمكن من المضي قدما بالجانب الصوري الذي بدأه الشيخ بن عليوة. فهو يبدو أقرب إلى مفهوم



مخيم العطلة الصيفية للشبيبة - جمعية التنوير. الحاج المهدي، الثاني ابتداء من اليمين

والواقع أن معاناة الشعب الجزائري شكلت بدورها مصدر قلق لطلما شغل بال المعلم الجديد للطريقة. فتدمير المجتمع، وإعادة تنظيم السلطات ومصادرة أراضيه، وطمس جذوره الثقافية، وبناء المحتشدات، وإصدار قانون الأهالي... كل هذا جعل الجزائري غريبا في وطنه، بل جردته من صفة المواطنة. أما قيم العدل والسلام والتقوى التي حملتها نخبة العقلاء فقد فقدت جوهرها. فمسيرة التحديث القسرية والتخلي عن اللغة العربية، والتشكيك في ثقافتها، وأخيرا وليس آخرا الآفة التي جاءتنا من الخارج وهي الإصلاح الديني، جميع هذه العوامل أدخلت البلاد في حالة غيبوبة.



بطاقة الانخراط للشباب المهدي

وعلاوة على ذلك، رفع بعض الورثة قضايا كثيرة أمام المحكمة بعد أن حرموا من الإرث الذي أصبح حيسا (وقفا) غير قابل للتصرف تستعمله هذه الطريقة الدينية لتأسيس الجماعة.

نجح الشيخ عدة بصعوبة في الحفاظ على الطريقة وتراثها الروحي بالمتابعة والإيمان ومساندة زوجته للاخيرة ومجلس الشيوخ له (وخاصة أعضاء مستغانم).

وقد كتب مندوب المؤتمر العالمي الروحي السيد محمد غداس في جريدة 'لوفار دو تونيس' (منارة تونس)، بتاريخ 26 ديسمبر 1952: "شهدت الطريقة انطلاقة جديدة منذ عام 1934 بفضل تفاني سيدي الشيخ الحاج عدة بن تونس الذي لم يتوان في تدريس مريديه، ولم يرض عنهم بالنصح والإرشاد في واجباتهم الدينية والدنيوية على حد سواء وما اتصل منها بحقوق الأخوة والقيم الروحية العالية. هنا في الجزائر، يجمع كل من يعرف الشيخ وأتباعه بالاعتراف بشيخه ونبله. وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ قد حظي بتعاطف المسيحيين وتقديرهم واحترامهم. فقد كان يستقبل زواره من غير المسلمين بأدب، وكان يحترم معتقداتهم، كما أنه كان يظهر طوال المقابلة التي تجمعهم بهم أن أفضل أساس لأخوة دائمة هو الجمع والتوليف بين الأديان. أضف إلى ذلك أن صيت الطريقة قد تجاوز حدود قارة إفريقيا وبلدان المشرق ليصل إلى غاية أوروبا وأمريكا حيث اعتنقت عشرات الشخصيات الشهيرة الدين الإسلامي بعد أن اتصلت بالشيخ".

نشاطاته ومؤلفاته

بعد أن وقعت مجلة الإخوان "البلاغ الجزائري" (والتي أنشأها الشيخ العلاوي في 1926) بين أيدي أعدائهم الذين نشروا الإشاعات والأكاذيب، أعاد الشيخ نشر مجلة "لسان الدين" الشهرية الناطقة بالعربية (أنشأها الشيخ العلاوي عام 1924) ومنعتها السلطات الاستعمارية عام 1926 بعد صدور خمس وعشرين عددا منها)، وقد ظهرت المجلة بالجزائر أولا ثم بمستغانم في وقت لاحق لتكون بمثابة هيئة أخبار ووسيلة للحض على إحياء الدين الإسلامي والدفاع عن التصوف الذي يشوهه الإصلاحيون سمعته أكثر فأكثر. وبذلك أضحي الوضع أوضح إلى حد ما، أو بالأحرى عرف استقرارا. وبعد أن صدرت أعداد عن الصحيفة بصفة منتظمة، في السنوات 1937 حتى 1939، عادت لتختفي عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية.

ألّف الشيخ "الروضة السنية في المآثر العلاوية" والتي خصصها لحياة الشيخ المؤسس وأعماله. وكان هذا النص مصدر إلهام لـ "مارتن لينغس" في تأليفه لكتابه المشهور "الشيخ أحمد علوي: ولي مسلم من القرن العشرين" والمترجم إلى لغات عدة.

فلا ترجى لنا نجاة ما لم نعمل بديننا
 لقد فشا فينا الفجور و تتوعت الشرور
 فكأننا لا شعور بما حاط بقومنا
 نرى الفقر عم الجميع فليس فينا مستطيع
 أما الجهل أمر فظيع هو الذي شوهنا
 أولادنا في الطرقات حال البنين كالبنات
 منتشرين زرافات لقد ضاق الوقت بنا
 لا خدمة لنا لا دين بجمعنا بأئسين
 يا لله للمسلمين يا لله لحالنا
 يا ربنا تحمي الشباب فلا يعدم منك الصواب
 فلترشده إلى الكتاب و سنن المهدينا
 أيا رب صل على من به سادت الأولى
 محمد تاج العلا خير الورى نبينا
 وآله أهل الصفا و صحبه ذوي الوفا
 ومن لنهجهم قفا من عباد مؤمنينا

من ديوان الشيخ سيدي عدة بن تونس

هيا بنا أهل الوطن نحیی الفرض مع السنن
 و نجنب كل الفتن التي قد حلت بنا
 هيا بنا أهل البلاد لنجتمع على الرشاد
 و كفانا هذا البعاد الذي قد ضر بنا
 هيا بنا نعطي الميثاق لنتحده على الوفاق
 و كفانا هذا الشقاق الذي قد فشا فينا
 هيا بنا نعطي العهود و كفانا هذا الجمود
 لقد طغى عن الحدود و عبث الدهر بنا
 قوموا بنا نعطي اليمين لنصرة الشرع المبين
 فلا عز للمسلمين إذا خانوا بعهدنا
 قوموا بنا نحیی الدروس فبالعلم تحیی النفوس
 لنجتني طيب الغروس و نحفظ بعزنا
 قوموا بنا نحیی الرسوم و نجتمع على العلوم
 لننتقي طيب الفهوم و ننتفع ببعضنا
 قوموا بنا نحیی القرآن نحیی الدين مع الإيمان
 لقد فشا في ذا الزمان ما قد ضر بشرنا
 قوموا بنا نتلو الآيات و نجتمع على الصلاة



مدرسة في عهد الشيخ

بات الخطر محققا بالجزائر بعد أن طُمست هويتها وفقدت معالمها، وأضحت للحظة دون ماض ولا مستقبل من غير ذلك الذي اختاره الغرب لها. ترك شبابها وقواها الحية هائمين دون تعليم حقيقي غير قادرين على التكيف مع التحولات الاقتصادية والاجتماعية والدينية، تعوزهم المعالم التي تعينهم على إحياء إيمانهم وإيجاد مكانة لهم في المجتمع.

"حتى نقي أبناءنا الانحراف والسقوط في الهاوية، علينا أن نساعدهم على الخروج من الجهل الذي يلاحقهم منذ الماضي الذي يرزؤون تحته وإمدادهم بالتعليم الصحيح" المرشد رقم 11 يونيو 1947 م.

لم يكن الشيخ عدة يكتفي بالتحليل أو التحذير فحسب بل كان ينشط أيضا. لقد أسس أول نادي مستغانمي لكرة القدم واشترى بدلات رياضية كاملة، كما تولى طبع بطاقات العضوية في النادي وشجع أبناءه على الانخراط فيه. كما أنشأ أيضا رابطة تدعى التنوير لتشجيع الشباب الذي لا تكوين لهم على التعارف فيما بينهم، فتكون الرابطة بذلك مكانا يتعلمون فيه الأخوة ومساعدة الآخرين واللغة العربية والإنشاد والشعر، وغيرها. وكان ذوو الخبرة من المريدين ينظّمون في فصل الصيف رحلات أسبوعية على شاطئ البحر وينصبون المخيمات الصيفية. وقد كان الشيخ عدة على اتصال وثيق مع الشباب طوال حياته، ونتيجة ذلك أصبحت الكشافة الإسلامية الجزائرية مكلفة بتوفير النظام خلال التجمعات الكبيرة للطريقة العلاوية.

وساعد الشيخ المستضعفين من الشباب وهم الأحداث المنحرفون. ولما كان سباقا في معالجة انحراف الأحداث وإعادة دمجهم في المجتمع، فتح بهذا الصدد مدارس لتعلم النجارة، والميكانيكا، ومهنة الخباز والطباعة. وقد ألح على حكومة الجزائر من خلال مجلة 'لسان الدين' كي تحقق هذه المهمة الحساسة. وفي عام 1941، توافدت على زاوية مستغانم دفعات متتالية مكونة من عشرات الأحداث المنحرفين بعد مغادرتهم للسجن. كانوا يلقنون القراءة والكتابة باللغة العربية في الفترة الصباحية، إضافة إلى ممارسة مهنة في ورشة يختارونها. أما في الليل، فكانوا يحصلون على التعليم الروحية. لقد لقي هذا التسيير المزدوج للوقت نجاحا بارعا في إعادة دمجهم في المجتمع. وأخيرا، أسس الشيخ مدرسة مجانية لتعليم العربية بمستغانم تعد الأولى من نوعها، لكنه تنازل عنها لصالح حزب الشعب الجزائري عندما عزم هذا الأخير على نشر اللغة العربية في الجزائر المستعمرة.



أول فريق لكرة القدم بمستغانم - الرجاء الرياضي المستغانمي

وقد قام بجولات عدة في المغرب الذي كان واقعا تحت الاحتلال الفرنسي، لكنه منع من مواصلة رحلته إلى الريف الخاضع للقوات الاسبانية حيث يقيم الآلاف من مريديه. كذلك كان الحال بالنسبة لمنطقة القبائل وباقي مناطق الجزائر. بيد أنه واصل زيارته لمريديه بلا كلل إلى أن وافته المنية أربعين يوما بعد آخر تنقل له إلى عنابة.



الباخرة "مدينة مارسيليا" متوجهة بالحجاج نحو جدة



طواف الشيخ والحجاج عبر مدينة مستغانم أثناء ذهابهم إلى مكة المكرمة - يناير 1939

الحج للمرة الثانية، الوعظ، واندلاع الحرب

ففي يناير 1939، وبالرغم من تجلي بوادر حرب محذقة من شأنها أن تجعل من الطرق البرية والبحرية غاية في الخطورة وبالرغم من القلق الشديد الذي أبداه من حوله، بدأ الشيخ حجته الثانية مع بعض مريديه وابنه الأكبر محمد المهدي



إيصال تصريح الجمعية
العلاوية للوعظ
17- فبراير 1939



مزار ضريح سيدنا حمزة، عم الرسول بجبل أحد



الشيخ مع ابنه و جماعة من رفقائه مرتادين لباس الإحرام



الشيخ سيدي الحاج عدة واضعا يديه فوق رأسه مصحوبا ببعض المريدين قبالة ضريح سيدي حمزة عم الرسول (ص) الذي هدم من طرف الوهابيين



احتفال 14 يوليوز 1946 - إعادة بناء ضريح الشيخ العلاوي بالغرفة حيث كان يكتب ويتأمل



حفل زفاف الحاج المهدي الإبن البكر للشيخ عدة - 1948

الذي لم يتجاوز سن الحادية عشر. وقد اكتشف بحسرة جسامة التخريب الذي ألحقه الوهابيون بأضرحة الصحابة وأهل الرسول - عليه الصلاة والسلام - والأضرار التي لحقت هذا التراث الإسلامي المشترك.

لدى عودته إلى الجزائر، قرر تجديد تنصيب المقدمين، منشأً بذلك الجمعية العلاوية للوعظ والتذكير التي استطاع بفضلها أن يفتح العديد من مدارس اللغة العربية وتعليم الدين في جميع أنحاء البلاد في مسعى منه لنشر المذهب الصوفي المتسامح والمعتدل في خضم عالم انجرف كلياً في العنف.

اندلعت الحرب في الفاتح من أيلول / سبتمبر. فانقطعت جميع الاتصالات تقريبا، ولم يتمكن الشيخ من التحرك خارج منطقة مستغانم.



سند تموين خلال الحرب العالمية الثانية - غشت 1944

كانت النزوايا العلاوية في جميع أنحاء المغرب العربي تستقبل كل يوم ضحايا الحرب إلى جانب المؤمنين والمعوزين وذلك على مدار أربع سنوات. كانت المؤونة تعوزهم كما تراكمت المشاكل المالية عليهم، وبالكد استطاعت الطريقة أن تستمر بعد أن فقدت جزءا كبيرا من ممتلكاتها. لقد كانت على وشك أن يحجز عليها.

في عام 1947م. خلال الاحتفال الثاني (26-29 أيلول / سبتمبر) الذي تزوج خلاله محمد المهدي أكبر أبناء الشيخ بيمينه ياسيني من الريف الخاضع للسلطات الإسبانية وأخت المقدم الحاج رضوان أحمد التافرسيتي، وجه الشيخ رسالة صريحة إلى مريديه: "أيها الأخوة! ليس الشيخ عدة من دعاكم إلى هذا المؤتمر بل أخوكم الفقير الذي أسندتم إليه مهمة مواصلة الدرب الذي خاضه المعلم العظيم. إن أثبتت التجربة انحرافاً عن طريق شيخنا العلاوي الجليل، طريق السنة النبوية، فلتظهروا لي خطاياي، ولتختاروا شخصاً يستحق أكثر مني أن يكون شيخاً للطريقة (...) لقد شببت منذ نعومة أظفاري على يدي الشيخ العلاوي الجليل، فقد علمني في مدرسته، وجعلني رفيق حياته حتى في الأمور الخاصة به، فعشت ما عاش. (...) أنا لست أكثر من خادم للطريقة العلاوية، سأمتثل لأوامركم، وسأقبل بحكمكم. لكن فلتعلموا أنه إن قررتم أن تسمحوا لي بمواصلة الدرب، فثمة واجب يقع على عاتقكم جميعاً: من واجبكم أن تساعدوني لنسلك هذا الطريق (...) وأن تدعموا عملنا المشترك، عمل العلاوية الذي لا يقتصر على الفقراء أو المسلمين فقط بل إنه لصالح الرجال قاطبة وللشعرية جمعاء، البشرية التي ضلت طريق الإيمان والتي يقع علينا واجب تقديم المساعدة لها. (المرشد رقم 14، ديسمبر 1947).

ومنذ ذلك عرفت الطريقة العلاوية ازدهارا لم يشهد له مثيل.



احتفال -1950 نرى أفواس مسجد الشيخ العلاوي مستقبلا

السلام

عندما استتب السلام، تمكن الشيخ من استكمال نشاطه فيما وافقت محكمة الاستئناف على عدم قابلية التصرف في التركة معترفة بذلك بصلاحيه وصية الشيخ العلاوي. وقد دفع الأستاذ المحامي ريمبو بحجة أن الوصي ترك ثروته للزاوية خدمة للذين يبحثون عن الحقيقة ولصالح الفقراء، وللجميع: قال المحامي "لم يكف الشيخ الجليل عن القول قبل وفاته: حينما ولدت لم أجد شيئاً معي، فكل ما أملك هبة من عند الله، ولكي أكون معقولا، سأترك كل شيء لله. سيدي القاضي، فلتفرض احترام الإرادة النبيلة للشيخ الذي قال: 'الجميع'. أنت ونحن كلنا نندرج ضمن 'الجميع'". وبذلك استرجعت الطريقة شرعيتها وممتلكاتها.

وفي يوم 14 جويلية 1946، حضر نحو ألف وخمسمائة مريد بمستغانم أول احتفال كبير للفترة ما بعد العلاوية. وتمثل الحدث في نقل ضريح مؤسس الطريقة إلى الغرفة التي كان الشيخ العلاوي يستعملها للتأمل وكتابة موثيقه لمنع الزوار من الطواف بالمكان الذي يعد شكلا من أشكال التعبد لدى المرابطين الذي طالما حاربه الشيخان بقوة. كان الشيخ عدة قد رأى في منامه الشيخ العلاوي يطلب منه منع هذه الممارسات. ولما استفاض الشيخ في شرح سبب إعادة الدفن، ألقى المريدون كافة عن العودة إلى مثل هذه الممارسات.



غلاف جريدة المرشد باللغتين الفرنسية والعربية

ودينه". (المرشد: سبتمبر 1946) "أين المسلمون من كل هذا؟ إننا لا ننصاع لتعاليم الدين ولا لمتعضيات الإنسانية الحقّة. وانجدتاه! الإسلام غارق في الحزن، تحاصره المحن، من كل صوب". (المرشد رقم 7 فيفري 1947).

كان الشيخ يحذر المسلمين والبلاد المسلمة من أي تلاعب بالدين باعتباره "سما يغشي عقول الشباب المسلم كالخمر تماما. لن يكون الشعب المسلم في الجزائر سعيدا قط إذا بقي تحت رحمة هذه المذاهب والممارسات الطائفية". (المرشد، عدد رقم 43 نوفمبر 1950). "لقد أضحت المساجد أماكن للدعاية للتدخل في معتقدات المسلمين وممارساتهم". (المرشد رقم 46 فيفري 1951).

كما حارب أيضا الهيمنة الاستعمارية وتبعاتها من طمس للثقافة، كما حث الآباء الذين أضعفتهم وعود الحداثة المادية، أن يلقنوا أبناءهم معالم السنة المحمدية لضمان مستقبل متوازن لهم: "أضحى الإسلام مجهولا لأن بعض الناس الذين يدعون الانتماء إليه قد تخلوا عنه من أجل حضارة مادية وأعراف تدعو إلى الانحراف. أقول لهم إن الذين يريدون أن يجعلوهم (يعني الشباب) أوروبيين هم الكفار. وأنا أكافح لإخراجهم من ديجور الجهل إلى نور ماضيهم ومجدهم". (المرشد رقم 11 يونيو 1947).

وأخيرا: ذكر بأن أعمدة التدريس الصويّ - أو طريقة تنوير الرجال والنساء على حد سواء- والذين اتهمهم بعض دعاة الإصلاح بالمرابطين والمضللين، لطالما كانوا منفتحين على العالم والحداثة عل نحو مدرّوس، فلم يكونوا يوما متغطرسين، ولا أنانيين إزاء الخلق والخليقة". ويصف ج. كاري في دراسته، التي سبق ذكرها، الروح



نشرة الاشتراك في مجلة المرشد



رخصة وزير الفنون و الآداب
لنشر صحيفة المرشد ابتداء من
فاتح نونبر 1947

المرشد

"من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا" (سورة الكهف آية 16).

ولما توقفت مجلة لسان الدين عن الصدور إبان الحرب، أصدر الشيخ عدة في أوت 1944 دوريته الشهرية الثانية الناطقة باللغتين العربية والفرنسية وهي مجلة المرشد التي كانت تطبع في المطبعة العلاوية بمستغانم لتوزع في جميع أنحاء الوطن وخارجه. وباتت المجلة بعدها لسان حال الطريقة العلاوية. وبعد وفاة الشيخ أصبحت المجلة تدعى أحباب الإسلام عام 1952.

كان الشيخ يتناول في مقالاته المكتوبة بالعربية، وما أكثرها، مواضيع موجهة للعالم الإسلامي برمته. وكان يستعمل عبارات سلسة ومؤثرة في مسعاه إلى توضيح النقاش ورفع اللبس ووضع حد للخلط القائم بين المرابطين، والمتصوفة والتضليل التي كان بعض دعاة الإصلاح يغذونها لأغراض حزبية.

لقد خاض نضاله لإقرار الدين والتمسك بالقيم الأساسية: "إن قلبي لينفطر لرؤية الشعب المسلم منقادا وراء مشاعره، راضيا بالعيش في جهل بلغته وبماضيه وبخالقه

التي كانت تحدد الطريقة العلاوية، وقد ذكر على وجه الخصوص أنها: "حافظت على أصالة التعاليم الصوفية التقليدية في الوقت الذي قبلت فيه تطور الإسلام نحو الحداثة والليبرالية اللتين لطالما اعتبرتا حكما على دعاة الإصلاح فقط".

واقتراد بسيد في ذلك، ساهم الشيخ مساهمة كبيرة في ضمان المحافظة والاعتزاز بالتراث الروحي والثقافي لبلاد المغرب والمشرق في الوقت الذي كان يوجه نظره صوب بلاد الغرب والعالم أجمع.

في المقالات الفرنسية التي كان يملئها على مر يديه الذين يجيدون اللغتين معا وبأسلوب ذاته في الوضوح والحجاج الذي يعتريه الكثير من البيان، كان الشيخ يتناول بالتفصيل الشعائر والاحتفالات، والمرسلين... بإدراجهم في القلوب والأعمال. كما كان يشرح تعاليم الصوفية، "روح الإسلام"، ويحدد طبيعة المعلم ودوره: "المرشد الذي يهديه الله ليهتدي إلى سبيله تاركا ذاته. ذلك المرشد الذي لا يميز بين عرق أو دين، بل يحب الله في جميع رسله وجميع مخلوقاته" (المرشد / فبراير 1984م). فالعلاقة الأولية هي علاقة محبة: "تحقيق معرفة الله يعني تحمل العبء والمسؤولية وقبول الغير ومساعدتهم" (المرشد العدد 42 / أكتوبر 1950م).

وإدراكا منه لجسامة صراع عالمي محقق، عكف الشيخ على تحقيق التقارب بين البشر رغم ما اكتنفه الأمر من خطر على حالته الصحية. فقد حث على التفاهم بين الأديان من خلال شرح أسباب تأسيسه لجمعية "أحباب الإسلام" ونظامها الأساسي، والدعوة إلى تحقيق أخوة عالمية من خلال كلمة له ألقاها أمام المؤتمر العالمي الروحي الأول المنعقد في بروكسل عام 1947.



الجهة الخلفية لبطاقة الانخراط لجمعية أحباب الإسلام



صحيفة لسان الدين حين إعادة نشرها من طرف الشيخ سنة 1936، في الرقم 27 على الأولى صورة و شهادة فريثجوف شيون، عيسى نور الدين بخصوص اعتناقه الإسلام



الجهة الأمامية لبطاقة الانخراط لجمعية أحباب الإسلام

وقد تم تقديم الرابطة الجديدة لأول مرة في مستغانم خلال الاحتفال المنعقد في 27 سبتمبر 1947. ورغم أن الأمر قد يبدو بديهيا اليوم إلا أنه كان آنذاك على درجة من الجدة تطلبت من كل المنخرطين التحلي بانفتاح وثقة استثنائيين: ويروي المقدم السي عبد القادر بلباي "أرسلني الشيخ الحاج عدة لحجز القاعة المتواجدة في الفندق الكبير الذي يعود لأحد اليهود. ولما لم يكن باستطاعة صاحب الفندق أن يرفض ضاعف من مبلغ الحجز حتى يوهن عزمنا. ثار غضبي وعدت إلى الشيخ لكن هذا الأخير أمرني بالرجوع فورا لحجز القاعة بالمبلغ المطلوب. وكان اللقاء قد استحث فضول صاحب الفندق فتسلل خلسة إلى القاعة للاستماع إلى كلمة الشيخ. وعند الفروع منها، قصد الشيخ وعيناه مغرورقتان بالدموع، وقال: "أنا أعتذر عما بدر مني، سأعيد لك المبلغ لأنك جعلتني أكتشف موسى من جديد. أما عن القاعة فستكون من الآن فصاعدا تحت تصرفكم مجانا".

انعقدت الاجتماعات الأولى عام 1948 في النادي السياحي بوهران وفي قاعة الفندق الكبير بمستغانم. وقد لقيت نجاحا فوريا في الأوساط الفرنسية والأوروبية غير المسلمة بالجزائر؛ إذ تميزت بوعي حقيقي بالأخوة.

وقد انعقدت دورات أخرى ناجحة في مدن جزائرية أصبح بعدها العديد من الأوروبيين - من المثقفين والأطباء والكتاب والصحفيين... - مريدين للشيخ أو أحبابا له. وقد انتشر أحباب الإسلام في كل من المغرب، والسنغال (المرشد العدد 23 ص 4 بتاريخ 10/03/1949، والعدد 45، ص 10 بتاريخ 10/01/51) وبروكسل وباريس وجنوب فرنسا

جمعية أحباب الإسلام

"تضم جمعية أحباب الإسلام عددا من الأشخاص من جميع شرائح المجتمع الذين يأسفون لحالة اللامبالاة والجهل المتفشية في العالم. لذا قرروا البحث في معرفة الحقيقة. والأمر لا يتعلق بحقيقة مسألة معينة بل الحقيقة الإلهية التي تحكم الكون، الحقيقة التي تسعى الحضارة المادية إلى طمسها (...). قد تبدو المهمة عسيرة لكنها ممكنة الحدوث (...). هنا يجتمع أولئك الذين أهلكتهم الظنون في البحث عن الحياة بكل قوة ويقين... ليس للجمعية ما تخفيه، فهي لا تضل أحدا ولا تحارب أي عقيدة أو مذهب. إنها لا تضر بالعقائد الأخرى في شيء، فهي تخدم الحقيقة فقط. والحقيقة عندها هي الله". (المرشد، العدد 54/30/11/51).

بعد الحربين العالميتين اللتين أسفرتا في أقل من ربع قرن من الزمن عن معاناة الشعوب لبعضها البعض إلى حد أن أصبح الجنس البشري مهددا في بقائه، رأى الشيخ عدة في إعادة إرساء التسامح والاحترام المتبادلين من خلال حوار موسع ضرورة ملحة وعاجلة.

تعد هذه الدعوة إلى السلام بين الشعوب والأديان بل والتآلف بين القلوب أيضا، ردا على تعطش حقيقي للناس، مهما كانت خلفياتهم؛ وهي الدعوة التي استقطبت شخصيات جزائرية وأوروبية من مختلف المشارب وجعلتها توافق على رعاية المشروع والمشاركة في الجمعية المسكونية الدولية الجديدة: أحباب الإسلام. لقد تولى الشيخ رئاستها، وكان الدكتور مارسيل كاري (طبيب وصديق شخصي للشيخ العلاوي) رئيسا فخريا



لها، وكان الحاج صالح بن ديمراد يشغل منصب نائب الرئيس أما جوزيف لو مير (عبدالله فايز) فكان أمين الجمعية، فيما تكفل أحمد بن أشهو بالخزانة.

وقد نظمت جمعية أحباب الإسلام داخل قاعة عمومية في المدينة لقاءات مفتوحة للجميع لكي يوطدوا علاقاتهم ولو للحظة من أجل تعزيز أواصر الصداقة والأخوة". يقول الشيخ في ذلك: "أحباب الإسلام هي نقطة التقاء تجمع القلوب في محبة الله ومحبة المرسلين أجمعين، وفي احترام العقائد والفلسفات جميعها" (المرشد/أبريل 1951).

أعضاء بالجمعية أحباب الإسلام: الأستاذ غوانار وزوجته

الإطار الوحيد والأوحد للمناقشات والاجتماعات الودية بين الأديان والتيارات الفكرية المختلفة. إذ إن مبادرة الجمعية العامة للأمم المتحدة للدعوة رسمياً إلى "عام للحوار بين الثقافات والأديان" لم تأت إلا في 2001 بعد أن أدركت ضرورة الحوار.

هذا "الانعطاف" إذن، هذا السبيل الآخر - سبيل القلب والحقيقة - كان نافعا وبما أن التوتيرة التي كانت الطريقة تسير عليها قد تسارعت باضطراد. وبعد نصف قرن من الزمن، أي في يناير 2000 تزودت في فرنسا ثم في أوروبا بنظام جديد لتحمل اسم "أراضي أوروبا". وقد جرى تدشينها يومي 12 و13 يناير 2001 في مقر اليونسكو وتحت رعاية رئيسها وذلك خلال المؤتمر الدولي الذي حمل عنوان "إسلام السلام". ولا تزال تتسع في جميع أنحاء العالم وفقا للوعي الذي يبديه مختلف الفاعلين في العالم.

درسٌ جميل ذلك الذي أعطاه معلم المحبة المتواضع الذي عبّرت أفكاره وأعماله الحدود، بالرغم من محدودية تنقلاته، لتصل إلى أفق الأخوة العالمية.

الغربي. وقد دعا إدوارد مونتي عميد جامعة جنيف إلى العمل في هذا المشروع المفيد قائلاً "بصفتي مسيحياً أحتج باسم عقيدتي الدينية، على ما أسميه المساس بشرف دين محترم. فلنعمل معا من أجل تنفيذ هذا المشروع النافع والمفيد للجميع، ليس فقط في العيش في سلام مع المسلمين، ولكن لنتقرب منهم ونستحث فيهم رغبة التقرب منا. لطالما سعينا على توسيع الهوة بين الإسلام والمسيحية في أوروبا؛ هوة لا مكان لها بيننا. فلنجسر هذه الهوات من خلال التخلي عن الأفكار المسبقة السائدة وعن كل الأكاذيب الواردة عن الإسلام. صحيح أن تأثير مجموعتنا الصغيرة هذه لن يغير وجه العالم، لكن إن تضافرت جهودنا فإننا سنتوصل إلى التغيير التدريجي في الرأي العام الذي يفتقر إلى التنوير الكافي، فنعدله حتى يتمكن يوماً ما أن يقر بقناعتنا التي نربها في كلمتين "فلنحترم الإسلام". (المرشد، العدد 23، ص4 بتاريخ 1 مارس 1949).

ساور القلق بعض المسيحيين فسألوا الشيخ: "أنت تريد أن تجعلنا مسلمين؟ فأجابهم: لا، يا إخواني أود بصدق أن أجعلكم أحباً للإسلام. أود بمشيئة الله أن تكونوا أتباعاً حقيقيين للمسيح عيسى (عليه السلام) أن تتبعوه في أقواله وأفعاله. إن القرآن الكريم والرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) قد دعاني إلى التسامح ومحبة المسيح عيسى والنبي موسى وجميع أنبياء الله ورسله، هذا ما جعلني أكتشف عالمية مهمتها" (المرشد، العدد 27 ص17 بتاريخ 1949/06/27).

"(...) إننا على يقين أنه لو اتبع إخواننا تعاليم دينهم بحذافيرها لتوصلوا دونما شك إلى الله أي إلى معرفته. ولذلك فإننا نقول لكل من إخواننا المسيحيين واليهود والبوذيين والمسلمين وغيرهم: لا تنظروا صوباً في النجوم، فلتجولوا بنظركم إلى اليمين قليلاً وسترون الشمس. (المرشد، أبريل 1951).

في العام التالي فتح أبواب الإسلام أبوابهم في أوروبا: أولاً في بروكسل ثم في باريس. فقد أثار الشيخ ببساطة فكره وعمقه وحدائته اهتمام العامة والسلطات الدينية على حد سواء.

ورأى بعض المسلمين أن "انحرافاً خطيراً عن العقيدة القرآنية قد تسلل إلى الجمعية التي تقر بالخلط بين المؤمنين والكفار دون أن تفرض على المنتسبين إليها النطق بالشهادتين. إذ إن نشاط هذه الجمعية وتضرعاتها في أوروبا تمثل تشابهاً كبيراً مع الحركة الماسونية. فرد الشيخ عدة قائل "ليس للجمعية من أمر تخفيه، فهي لا تضر أحداً ولا تحارب أي عقيدة أو مذهب. إنها لا تضر بالعقائد الأخرى في شيء. فقد أنشئت بحثاً عن الحقيقة فقط؛ والأمر لا يتعلق بحقيقة مسألة معينة بل بالحقيقة الإلهية التي تحكم الكون، الحقيقة التي تسعى الحضارة المادية إلى طمسها".

من خلال هذه الدعوة الكريمة والجريئة إلى الحوار، يظهر الشيخ هنا أيضاً بصورة المبتكر المتقدم على زمانه وبما أن جمعية أحبب الإسلام بقيت توفر لوقت طويل



النشرة الداخلية لجمعية أحبب الإسلام



سأل أحدهم الشيخ:

"من أنت حقا يا شيخ؟"

فأجاب:

"أنا واحد من الأخوة. إنني واحد من الجماعة التي تعرف نزول المسيح عيسى (عليه السلام)، فقد أخبرنا رسول الله محمد (عليه أزكى الصلاة والسلام) أنه قبل نزول المسيح ابن مريم سيظهر قوم صلحاء من أتباعه. ولن يكون أحد من هذه الجماعة إن لم يتخلص مما يعيق دربه وأكبر هذه العقبات هي العرق والدين. لأن نزول المسيح سيكون رحمة بالجميع. لأنه لو كان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) حاضرا معنا ولاحظ أن من بين أتباعه من لا يزال في قلبه هذا المرض أنا على يقين أنه سيأمره بالوضوء. سيأمره بذلك لأنه إذا اجتمع يوما يهودي تقي ومسيحي تقي وبوذي تقي ومسلم تقي لم يجدوا من شيء يفرق بينهم على الإطلاق. بل على العكس، لو ذكر كل واحد منهم أقوال نبيه لوجد أقوالا تدعو إلى الصداقة والأخوة والمحبة وإلى تعزيزها، وهذا هو الأمر الذي يرضي الأنبياء جميعا.

(المرشد، أكتوبر 1949).

الشيخ محاط بمريديه، من بينهم أوروبوايان، عبد الله رضا عن اليمين، ويجلس عن اليمين سيدي المهدي الفرنسي واضعا يديه على صدره (جون تشارلز) الذي تبناه ورباه الشيخ - 1948

نداء بروكسيل العالمي

وقد شدد على البعد العالمي للوحي قائلا: "نشر جميع الأنبياء العدل والسلام إذ لم يرد أبدا عن نبي زرعه للشقاق والخلاف بين البشر. فجميعهم كانوا في خدمة الله. فليس من العدل إذن أن نفرق بين هؤلاء الرسل. وقد أوصى الله نبيه محمدا (عليه الصلاة والسلام) الذي كان أحد هؤلاء الرسل وخاتمهم، ألا يفرق بينهم. فمن يفرق بينهم إذن فقد ضل سواء السبيل".

ويضيف الشيخ أخيرا "إخواني! أرجو أن تولوا اهتماما مغزى هذه الكلمات، وأن تنظروا في معناها ومداهها". (المرشد، العدد 2 سبتمبر 1946).

خلال المؤتمر العالمي الروحي الذي نظمته الجمعية الصوفية في بروكسل عام 1946 والذي يعد الأول من نوعه، توجه الشيخ عدة في خطابه إلى البشرية قاطبة بما أن نطاق رسالته قد تجاوز المجتمع الإسلامي. وكان أحد المنظمين امرأة تدعى "سيرج بريزي" تلقت تعليمها على يد الشيخ عدة. وقد كتبت في الدعوة التي أرسلتها إلى مستغانم في 20 فبراير 1946 "لا أعرف إذا كنتم تتذكرونني، غير أنني لم أنس يوما التعليم الذي تلقيته في زاويتكم الجليلة بمستغانم - شملها الله بحمايته-؛ نحن بصدد تنظيم المؤتمر العالمي الروحي الذي نأمل أن يكون جامعا للأديان كلها بغية وضع ميثاق الروحية الإنسانية. سأكون سعيدة جدا لرؤيتكم إن تمكن أحدكم، إخوتي، من حضور الاجتماع".

وبما أن الشيخ عدة لم يتمكن من الحضور بسبب مرضه فقد أرسل كلمته التاريخية التي دعا خلالها المؤمنين للحوار وتبادل القيم الروحية والأخلاقية التي وردت في جميع الكتب المقدسة وفي كل الحكم المدرسة من جيل إلى جيل. ودكر بأن الشرط الأساسي لنجاح الحوار هو وضع الواحد فوق كل الجماعات والمذاهب.

فقد أشار أولا إلى ضرورة هذا الحوار قائلا: "إخواني! إن العالم برمته يحتاج إلى كل النعم ذات الصلة بمؤتمركم هذا ما كبر منها وما صغر. وتكمن أصغر هذه النعم في كونه انتشر واتسع بين الناس ليجمع اليوم خلال لقائكم السامي هذا المؤمنين على اختلاف أعراقهم وأديانهم، من أجل أن يحيوا لحظة من التواصل الوثيق مع بعضهم البعض في مسعى لتعزيز أواصر الصداقة والأخوة بينهم".

ثم ذكر بأن الله قد خلق الإنسان رحمة منه وفضله على سائر المخلوقات ليؤمن به ويشكره على نعمه. وبجهل منه، اعتقد أنه قوي يمكنه السيطرة على كل شيء، واعتقد أنه على علم بكل الأمور. ومهما كانت عنجهيته، غالبا ما وجد نفسه في حالات من الضعف والعجز. فطبيعة الإنسان أن يحلم بالثروة والسيطرة، لكن الواقع أثبت أنه في متابعة أحلامه إلحاق الضرر والمعاناة بالآخرين من بني جنسه. وجاء الدين ليعلمه التصرف بحكمة وتبصر إزاء نفسه وإزاء الآخرين. ورحمة منه، بعث الله آدم خليفة له على الأرض حتى يسير فيها وفقا للقواعد الإلهية. وتشكل هذه القواعد منهلا للسلام والعدالة للجميع، فإن القوانين التي وضعها البشر تخضع في الغالب للتغييرات حسب أهوائهم. ومن هنا ينشأ الصراع والظلم: "ليس من الممكن لأي شعب مهما كان أن يجد السعادة الأبدية والطمأنينة إن لم يجعل من قوانين الحقيقة مرجعا له ليتوسلها في فعل الخير عند كل ظرف من ظروف حياته".



رسالة الشيخ بمناسبة المؤتمر العالمي للديانات بباريس سنة 1949



نص النداء العالمي ببروكسيل سنة 1948

الزاوية وجهود التقارب

"ليس الشأن أن تراني إنما الشأن أن تعرفني" حكمة الشيخ سيدي عدة بن تونس تعد الزاوية بالنسبة لجون غابرييل الرئيس الشرعي لفرع أحباب الإسلام بوهرا "جنة السكينة والتقوى حيث ننسى المدن الصاخبة والبؤس الإنساني وجحيم الآلات وضجيج المعارك".

ويتذكر جون بيبس بالحماسة ذاتها التي كانت تحدوه في سن التاسع عشرة (في درب الصالحين) "فناء الزاوية الصغير حيث ترعرعت الورود، والياسمين والبلسم على طول كرمة وشجرة زيتون قديمة التي أثقلت جذورها التربة المغروسة فيها، وهديل الحمام المنبعث من أعلى النخيل. وغير بعيد من هذا الفناء، كانت تتواجد قاعة الصلاة المشيدة بالخيزران، والضريح المظلم للشيخ السابق (...) وكان كرم الضيافة يخالطه لطف طبيعي في الكلام والحركات في كنف ذلك الفقر الطوعي والكريم. وكان خريز منبع الماء يداعب سكوننا. لم يكن ثمة عقلانية تشوب إقامتنا بفرض جدول زمني محدد. كانت هذه البقعة الفردوسية قائمة على الحرية والشفافية؛ لقد أطلق عليها أحد إخواننا اسم جنة الذات".

تجتمع الآراء على أن الأجواء في الزاوية الأم كان يسودها سلام لا يوصف. كان الشيخ عدة يستقبل فيها جميع الناس في روح من الحوار والمصالحة بمن فيه معارضيه. كان يدعو لأعدائه "بأن يطيل الله في أعمارهم". "لكن لماذا؟"، يتساءل أحد مريديه. "لإعطائهم فرصة للتوبة. إنهم لا يحبونني، لكن ليس عندي شيء ضدهم... إنهم يعانون، والكراهية تغشى قلوبهم. الله هو الذي جعلهم على هذه الحال. وليس من الحق أن نأسف لذلك (خطاب 27 غشت 1948)".

يقيم بالزاوية حوالي مائة شخص بمن فيهم الأقرباء، وبعض المريدين والحجاج والزوار والمسافرين والمرضى والمحتاجين، جميعهم ماكث بصفة دائمة تحت رعاية لئلا خيرة وحماية الشيخ الذي قال: "عندما أغضوا حس كأن المؤمنين يراقبونني، وعندما أستيقظ أحس كأن المؤمنين ينظرون إلي. أنا لا أساعد أولئك المحتاجين ليصبحوا أتباعا لي، بل إنني أساعدهم ليجدوا الإيمان بإذن الله، وأنا أفعل ذلك لخدمة الله عن طريق التخفيف من بؤس إخوتي. (المرشد، شتمبر 1946)".

وخلال الاحتفالات الدينية والحلقات الدراسية، كان البيت مشرقا كالعروس التي تحظى بعناية الجميع". كان الشيخ عدة يقف عند الباب للترحيب بالحجاج الوافدين من جميع أنحاء الجزائر والمغرب. وقد كتبت كاترين دولرم بهذا الصدد: "بدا وكأنه يترقب وصولي، واستقبلني كأني أحد أعضاء أسرته الروحية، بل تبين لي أنه يكن لي تقديرا خاصا. لقد تعجبت من هذا التقدير والاعتبار الذين خصني بهما وقد شعرت بالحر والطمأنينة في الوقت ذاته، وكنت محرجة أيضا من الدخول إلى الاحتفال وسط ثلة الفقراء" (الطريق إلى الله).

فيما كتب جون غابرييل بروسيه: "من جهتي، لازلت أحتفظ في قلبي بذكرى تلك الساعات المباركة التي شاهدت فيها الشيخ الحاج عدة واستمعت إليه (...). عندما يتحدث، كان الضوء ينبعث من عينيه ليشع ما حوله (...). بصوته العذب، مذاكراته السلسة والشعرية، (كان) يوحى في أعماق كل الحضور صورا توضح المفاهيم التي بقيت إلى غاية تلك اللحظة كامنة في الوعي الباطني فتصبح لفجأة واضحة ناضحة بالدروس والمكاشفات. في أجواء الرصانة تلك، كنا نشعر بأننا أكثر ذكاء وأكثر وعيا (...). كانت التناقضات الفكرية وصراع القلوب والعقول تنحل وتتجانس وتتوحد. (...) كان الشيخ يمارس هذه اللطيفة الروحية على الجميع رجالا ونساء وشبابا، سواء على الراعي أو أستاذ الجامعة، أو المتشرد أو القاضي أو الكناس، على الضابط والشاويش والطبيب وملع الأحذية والكاتب وبائع المياه... كان يعطي لكل واحد ما يحتاج إليه. لم يكن يدرسهم بل كان ينورهم" (خطاب 4 أكتوبر 1957). كان صاحب شخصية كاريزمية وبعد إنساني بإقرار من جميع سكان المدينة حيث كان محبوبا ومحترما.





أثناء الخصوصية



تحت حديقة مشبكة



الشيخ محاط بمقادير و كبار فقراء المغرب بداخل حديقة الزاوية أثناء حفل زفاف ابنه الحاج المهدي



ويقول بيبس "فيما يخص التدريس الكتابي، كان يفضل المشافهة كأى رجل تقليدي يفضل الكلام الذي يبقى محفورا في الذاكرة أكثر من الكلام المكتوب على اللوح. كان يستعمل جملا قصيرة، تتخللها فترات صمت طويلة تقطعه حركات مطلقة. كان كلامه واقعيًا ينضح بالبيان والعبر. يقول المسلمون إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة".

(Jean Bies ; les Voies des Sages, Philippe Lebaud, Paris 1996, p15).

كانت بساطته تفاجئ جميع الزوار: "أسألو الشيخ، المتواضع جدا، البسيط جدا، ما هي القيمة الحقيقية الأصلية. وسيجيب أنه لا يريد أن يصبح إله الآلهة بل يحب أن يدل على طريقه. وهو يعتبرها طريقه ويرضى أن يكون لكل واحد طريقا خاصا به. وينقل جون بيبس من جهته هذا الكلام عن الشيخ: "لقد بينت لكم طريقي، وأطلعكم على سري. ولكن إن حصل أن اكتشفتهم رجلا آخر أحق مني، أطلب منكم ألا تذهبوا إليه لوحدكم بل أن تطلعوني به وتساعدوني: كي نذهب لرؤيته معا".

أضحت زاوية مستغانم ملتحقا أخويا وروحيا ساميا تحت رعاية الشيخ عدة المسير المتواضع لبيت الله.

ويقول المسمى السيد لحسن بلخير "عندما كان يدخل إلى الغرفة، كان لساني ينعقد، وكانت ثمة قوة غريبة تنتشر في الجو وفينا". كتب ديرمنغام ما يلي: "كانت البسمة تملو وجهه دوما على الرغم من المرض والتعب والمشقة، كان العطف يشع منه وكان منبعًا للمذاكرات والعبر والحكايات ذات المغزى التي كان يستقيها من الحياة اليومية أو مؤلفات أعمدة المتصوفة. لم يكن يولي اهتماما خاصا بالممارسات التأملية أو بالابتهالات المختلفة. كان يقيمها حسب الحضور، لكنه كان يصر على حضور الاجتماعات. في آخر احتفال تولى رئاسته، شاركت عشرات الحلقات المكونة من عشرين أو خمسين أو مائة فقير، ليلا، في العمارة".

(ايميل ديرمنغام، Le Culte des cultes dans l'Islam maghrébin)

تعظيم الصالحين في الإسلام المغربي، منشورات غاليمار، 1954، ص 323 - 324).



تعاليم الشيخ لأتباعه

بالمقابل: كاترين دولوغم (ماميطة) لقاءها مع الشيخ سنة 1948 من خلال كتابها، "سبيل الله"

يروى جون بيبس أن :

"رجلا كفيفا كان يعيش بالزاوية. وكان الشيخ يأخذه دوما من يده ليجد له أفضل مكان، وليؤدي الصلاة، بل كان يتبعه كمريد له. فقلنا له: دع عنك يا شيخ، إنه يتطلب منك أكثر مما تطلب أنت منا! فقال: دعوني أساعده محبة في الله. ألسنا جميعا عميانا؟"



تحت ظلال شجرة العناب بدببة

قال الطبيب يوماً: "يا شيخ عندما رأيتك أول مرة مع مريدك الملتفتين حولك بالزاوية تقدم الشاي والقهوة والкеك، وإذ لاحظت تقدير الجميع لك يومها قلت في نفسي: إنه ملك! ثم رأيتك بعدها وجالستك والآن أعتقد أنني أعرفك. حينما أرى جميع مريدك يبجلونك ويقبلون يدك، ويقدمون الهدايا، فأقول في نفسي: إنه عبد! هل فهمتكم يا شيخ؟" فأجاب الشيخ: "يا حكيم، الحقيقة أنه من أراد أن يكون عبداً لله لا بد أن يكون عبداً لمخلوقاته. ومخلوقات الله هي الناس جميعاً. ولا بد أن أخبرك بأنني عبد لزوجتي أولاً ثم لأطفالي وأتباعي، وبعد ذلك لأول مريد يقصدني".

قال الشيخ لأحد الأخوات التي رأت في منامها أن أحدهم أعطاها رغيف خبز من نافذة واقعة بالطابق الأول: "الخبز هو كلام الله الذي يزود روحك به. لكنك يا أختي موجودة في مكان عال حيث يصعب تزويدك به، فالأمر أهين بالنسبة للموجودين في الأسفل، إذ يمكنهم النزول حتى يحصلوا على خبزهم ببساطة من الباب. فلتحاولي يا أختي أن تجدي مسكناً في الطابق الأرضي، وابقى دوماً في الأسفل حيث يتمكن الجميع من خدمتك بسهولة" رسالة 16 جويلية 1948.

تجعل الطريقة من المذهب الصوفي الذي تنتسب إليه مثلها الأعلى. والمذهب الصوفي يطمح إلى معرفة الله والتقرب إليه بجميع الأعمال الجليلة إلى غاية أن يسمو التابع إلى درجة تسمح له بالوصول إلى أقصى حدود الكمال الذي يؤدي به إلى معرفة الحق والواقع أي إلى الكرامة التي تجعل منه وريث الأنبياء الروحي.

ما هي التصورات التي تقوم عليها الطريقة؟" تقوم على الحث على عودة الإنسانية عامة إلى الأخوة والسلام عبر ثقافة العبرة الحسنة، والتعاليم الدينية لتقويم الأخلاق من أجل معايشة الأخوة الصادقة وإحيائها لأنها موجودة نائمة في القلوب ككمون الزبد، وإذا تكلف كل الناس أن يجعلوا نصب أعينهم هذه الأخوة عليهم من الله أذكى سلام لاضمحت كل الفوارق والنزاعات ولعاشوا جميعاً في سعادة ووثام لا تعرقله أية مشكلة"

للا خيرة

ابنة الشيخ المؤسس بالتبني وزوجة الشيخ عدة، وأم الشيخ المهدي وجدة الشيخ خالد. كان للا خيرة أبناء أكثر (ثمانية من مجمل أربعة عشر ولدا بقوا على قيد الحياة). وقد عملت بشجاعة على البقاء المادي والروحي للزاوية لقرابة قرن من الزمن الذي شهد مشاكل ومحن كثيرة. فقد اضطلعت بكرامة واحتفظت بالدور الذي أسنده الشيخ العلاوي إليها وإلى الشيخ عدة وهو يحتضر، إذ قال له "أتركها لك في الزاوية كالميناء الذي تقصده السفن من كل فج لترسو به".

لقد لقنها الشيخ العلاوي التنوير الذي يتماشى مع تعاليم الإسلام والنبيل والكرامة التي يستحقها كل إنسان وتماشيا مع الانفتاح الذي كان عصره يشهده.

لقد كانت قدوة للنساء. لقد لقنها الشريعة الإسلامية والشعر والإنشاد. وكان يصطحبها معه في تنقلاته كما أقام لها مسبحا في سن الثامنة ليعلمها السباحة.

في 26 مارس 1998، وبعد مرور أربعين يوما من وفاتها، وصفها الشيخ خالد بأنها "ملكة دون مملكة، دون عرش، دون بلاط، دون رعايا، من دون جنسية، إنها خادمة بيت الله، وحاميته وجالبة السعد له. لقد كانت مثالا يحتذى في السر والعلانية. كانت ملكة حقيقية أينما حلت، يتقبلها ويحبها الجميع".

ثم قال: "إذا كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد خبا سره في ابنته فاطمة الزهراء، فإن الشيخ العلاوي بدوره قد خبا سره في ابنته خيرة.



للا خيرة أثناء حفل زفافها سنة 1924

لقد كانت تملك قوة السر لكنها لم تنتفع به يوما كما أنها لم تدعي يوما الشرف. لم تدرس أي امرأة ولم تلقن ذكرا يوما. بل كانت ترشد النسوة اللاتي يقصدنها في هذا الصدد إلى الشيخ أو إلى المقدمة. بيد أنها لم تضن بتقديم النصح والبركة للعديد منهن. وكانت تملك طاقة ومقدرة روحية بحيث كانت الوحيدة التي يستجاب دعاؤها في الزاوية".

لقد كانت تقاسم "السر" الروحي الذي وضعه الشيخ فيها. كانت امرأة ورعة لا تفارق المسبحة يدها، وكانت الصلوات والدعاء كلامها. لم تكف عن الدعاء بأن "تلقى الله بوجه حسن"، وحتى صمتها كان يفرض الهيبة والاحترام لله ولبيته.

لقد كانت أمًا ممتازة، إذ يشهد لها أبنائها وبناتها بأنها جعلت منهم أشخاصا منبسطين ومسؤولين في حياتهم. كما أنها كانت تحب وتعامل جميع الأطفال المقيمين بالزاوية كأبنائها تماما سيما أبناء الفقراء الذين تكفلت بهم ورعتهم إلى أن تزوجوا، وكذا المجريدين الذين كانوا يعكفون على الصلاة والتأمل والأعمال اليومية بالزاوية إلى أن توافيهم المنية.

كانت تقول لهم: "أعملوا بحسن نية في هذا البيت، إنه بيت الله. سوف يجازيكم عليه. فالعبد يجازى حسبما نوى".

وكانت فطيمة قناوي أو خالتي كما ينادونها في الزاوية، صديقة للا خيرة الحميمة بل ذراعها الأيمن، وكانت متعلقة بها كثيرا ولا تتصور أن تحيا بعدها. وبالفعل فقد فارقت الحياة بعد أسبوعين من وفاتها. كانت "خالتي" تطيب الأسرة بالأعشاب كما كانت تساعد الجدة في الطبخ بلا كلل. وكانت تجيب أولئك الذين يطلبون منها أن تستريح: "لا يمكنني أن أكل وأشرب في بيت الله دون أن أخدمه".



للا خيرة خلال السبعينيات

لقد كانت للا خيرة تستقبل زوارها بحفاوة وبسطة وكرم، مهما كانوا متعلمين أم أميين، أغنياء أو فقراء. كانت تقول: "جميعنا ضيوف الله، هو الذي يبسط الرزق وهو الذي يمنعه".

كانت للا خيرة والنساء الأخريات يعاملن المقيمين بالزاوية على قدم المساواة. إذ كان الجميع يأكل الطعام ذاته. وجميعهن كن يرتدين ملابس جديدة في الأعياد كالمولد والعديد وقد كان الكل يجتمع حول الكانون الكبير شتاء، أو على السطح صيفا ليستمعوا إلى قصص الراويات عما شهدته اليوم من أحداث.

من مذاكرات الشيخ الحاج عدة

ما من مؤمن أكمل الله إيمانه، و أتم عليه نعمه، إلا و تراه مهتديا في جميع أفكاره و نظرياته. و أنه مهما باشر عملا من أعماله، سواء الدينية منها أو الإجتماعية، إلا و أمدته الله بالتوفيق حتى لا يدخلها و لا يخرج منها إلا و هو فارج مسرور بما أنعم الله عليه من التيسير و المساعدة و ما ذلك، و المنة لله، إلا مصداق قوله تعالى: "إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم" (يونس، آية 9) لأن الإيمان نور من نور الله، و المؤمن زيادة عن كونه مغمورا في نور الله، فهو فيه أيضا، لأن الحق قد تجلى على خلقه بنوره، فقال في محكم كتابه: "الله نور السموات و الأرض" (النور، آية 35) فتبين من صراحة هذه الآية، أن الخلق كلهم قائلون بنور الله، و لولا نور الله المتجلي في كل مظهر من مظاهر الأكوان لما رأيت لها أثرا، و لكن ليس الشأن أن يكون الإنسان كحجر الوادي، ظاهره محاط بالماء و باطنه من أشد ما يكون جفافا و يبوسة. أما المؤمن فهو بخلاف ذلك، فهو كالفاكهة ربما باطنه ألين بكثير من ظاهره لتمكنه من تجلي نور الله فيه، حتى قال - صلى الله عليه و سلم - في حديثه الشريف: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله...". محور مذاكرتنا يدور حول التحصيل على شيء من ذلك النور الإلهي العميق الجليل، الذي ما اكتسبه عبد إلا كان له نور يمضي به في الناس، و تلك هي الغاية المنشودة من رسوب الإيمان في قلوب المؤمنين.

«الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور» (البقرة، آية 257)



بزيمة من الذهب



الذهب القديم (السلطاني) و الذي كان بمثابة الزينة



قلادة من الذهب والأحجار الكريمة



للا خيرة مع أحمد بن بلا أول رئيس الدولة الجزائرية (1962-1965)
أثناء زيارته للزاوية بمستغانم

بالنسبة للشيخ عدة، كانت للا خيرة زوجة أنيقة كتومة وحنونة. لطالما اعتبرها رفيقة نشيطة ودعامة ثمينة إلى حد أن بقي بعض الفقراء إلى جانبه، بعد وفاة الشيخ العلاوي، احتراماً وتقديراً لها.

لم تكن تتباهى بخصالها ولا بهباتها لتواضعها. وكانت دائماً تجلس في الصف الأخير خلال الحلقات احتذاءً بوصايا الشيخ العلاوي لها، ولم تغير يوماً هذا المكان إلى آخر يوم من عمرها وهو 9 ذي القعدة 1418هـ/ 8 مارس 1998م. وقد حزن جميع من عرفوها لوفاتها فقد كانت شاهداً على قرن من التغيير والمعاناة والأمل أيضاً. لقد عكفت منذ الصغر على خدمة هذا المذهب الروحي ونقله بإخلاص على الطريقة



للا خيرة أثناء الصلاة

وكانت وتيرة الأحداث اليومية تتغير حسب الأعمال والفصول: جلي، تحميم، حفظ الطعام، صنع المربي وغيرها وكانت جميع المقيمات بالزاوية يذهبن معاً إلى البحر، أو إلى زيارة الأضرحة أو إلى الحمام.

وكانت امرأة خارج الزاوية تتولى تسيير التدريس الروحي كل يوم جمعة خلال حلقات. واقتداءً بحديث الرسول (عليه الصلاة والسلام) الذي يقول فيه: "العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"، كانت النسوة يتلقين التعاليم مثل الرجال تماماً. فقد اعتبرن قدرات على الوصول إلى الدرجات الصوفية الأكثر سمواً، ما يستوجب احترامهن لتوظيفتهن النبيلة في الحياة. ويرى المشايخ العلاويون أن الأخلاق إلى جانب تعليم جيد كفيلة بأن تضمن نزاهتهن وتزويدهن بأفضل سلاح لمجابهة جميع الصعاب التي يفرزها المستقبل. إذ يضيف الشيخ الخالد في هذا الصدد: "إن الأمر يتعلق براحة الجميع. فإن كان الإنسان يحتاج إلى رجله الاثنتين كي يسير، كذلك المجتمع يحتاج إلى توازن وأخوة ووحدة سليمة بين الرجل والمرأة، حتى يزدهرا معاً ويتكاملا في عالم متجانس وحر للجميع" (رسالة الشيخ خالد).

ظهور الزوايا الجديدة في العالم

لقد انتشرت رسالة التسامح والحب وشعت بفضل عزم الشيخ والبعد العالمي لأفكاره. إذ تأسست العشرات من الزوايا في الجزائر (فرندة، ثيغنيف، زمورة، وأخرى بغيليزان، وهران-السانية، وتنس...) والمغرب (سبتا، الحسيمة، ايمزورن، وجدة، مكناس، وأخرى بتطوان). كما ظهرت زوايا أخرى في المشرق العربي (فلسطين) ومدغشقر والسنغال. وقد تأسست أول زاوية علاوية بإفريقيا السوداء في داكار.

لقد كان جميع الجنود "المشاة" من إفريقيا الغربية يعبرون منطقة مستغانم لتلقي التدريب العسكري قبل أن يتوجهوا إلى أوروبا للقتال. ولقد كان عدد منهم يمر بزاوية مستغانم للتعبّد. حيث يلتقون بالشيخ عدة فيتأثرون برسالته. وكان مامادو سول أول فقير علاوي من السنغال يزور الزاوية وفي عام 1945، قصد هذا المعلم مستغانم ثم السنغال حيث نشر مجلة أحباب الإسلام والمرشد هناك وفي عام 1952، أرسل الشيخ عدة المقدم أحمد فرحات والحاج إبراهيم الغطاس إلى إفريقيا السوداء لنشر دروسه بيد أنهما لم يمكثا بها طويلا، إذ رجعا إلى مستغانم بعد وفاة الشيخ.

وقد تأسست زوايا أخرى بأوروبا وبالتحديد في بريطانيا (برمينغام، ليدن، ليفربول، كارديف...) وفي فرنسا (موريز، لاغرونند كومب).

فالأتباع الأوائل للشيخ والمهاجرون المقيمون هناك كانوا قد عرفوا من قبل بالمذهب الصوفي في أوروبا. ولم يلبث عدد المريدين الجدد يتزايد. وقد كتب لأحد أتباعه الأوروبيين: "أنا سعيد للقائكم في فرنسا (...). فأنا أتابع منذ زمن احتلال الأوروبيين للمسلمين، وقد لاحظت أنهم امتلكوا أجسادهم من دون قلوبهم. فاحتلال القلوب



منظر عام - طنجة



من بين النساء نذكر فاطمة غناوي، التي كنا نطلق عليها اسم خالتي، فهي جلييلة للا خيرة و ساعدها الأيمن. كانت تعالج أهل الزاوية بواسطة الأعشاب و مساعدة الجدة في المطبخ بدون انقطاع. لما بلغ منها السن، طلب منها أن تستريح، فأجابت معترضة «لا يمكن أن أشرب و أكل في بيت الله بدون خدمته». كانت جد متعلقة بالجدة إلى درجة أنها لا تتوقع العيش بعد وفاة للا خيرة و فعلا انتقلت إلى رحمة الله بأسبوعين بعد وفاتها.

خالتي الرفيق الأمين للا خيرة
و مربية سيدي خالد



لا خيرة :
إلى دار الأبد



الزاوية العلاوية
بغزة - فلسطين

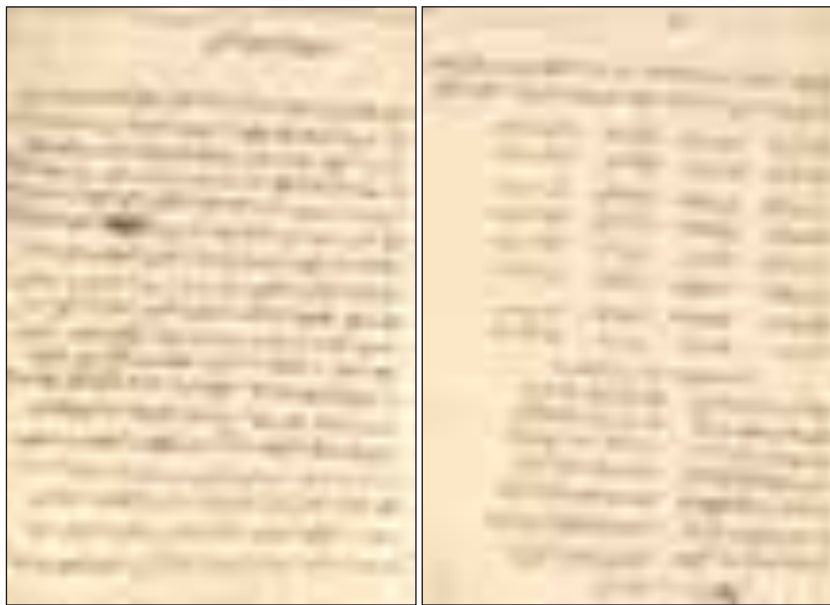


المقدم السيد أحمد فرحات أثناء زيارته لفقراء السنغال سنة 1952

أقوى وأشرف، أكثر إنسانية لأنها مسيرة من الخصال والشيم السامية: من البساطة، والرصانة والسلام والحب والتفاهم، ومن كل ما من شأنه أن يعزز الأخوة. إذ يسعى كل واحد على هذا الدرب أن يخفف على الآخر لينتفع من معرفته إن كان أدري منه، أو لينتفع هو بعلمه إن كان جاهلا. وهنا تكمن المساعدة بين مخلوقات الله". (المرشد، العدد 40، في أوت 1950).

الوداع

قال الشيخ العلاوي: "سأذهب بلحية بيضاء اللون، وسأرجع بأخرى سوداء ولن تعرفوني. وأنا أقول لكم: أنا كذلك ذاهب، وسأرجع بلحية بيضاء أو غير ملتج، وأعلم أنكم ستقولون لست أنا. لكن إن أغلق المستأجر باب المدخل الذي فتحته وأراد أن يفتح آخر على واجهة المبنى. هل كنتم لتمرروا من الباب الجديد أم أنكم ستبقون واقفين أمام الباب المغلق؟ من يريد الدخول، لا يتوقف أمام الباب عليه أن يدخل من باب المدخل.



رسالة دعم واعتراف لفقراء فلسطين موجّهة للشيخ سيدي الحاج عدة الوارث و الخليفة للشيخ العلاوي - 1934



رسالة إخبارية حول سياحة
المقدم سيدي أحمد فرحات
ورفيقه سيدي إبراهيم
الغطاس إلى السنغال
و الهدف من هذه السياحة
(5 أبريل 1952)



الشيخ محمد قاسم، مقدم
الطريقة العلاوية يضع
أول حجرة لمسجد بمدينة
ليفربول - إنجلترا سنة
1950

مسجد مدينة طنجة



ضريح سيدي يحيى - وجدة - المغرب



مجمع روجي بزاوية تفرسيت - المغرب



الحي العربي - وجدة



مقاديم الريف مع فقراء مدينة الحسيمة - المغرب

كتب الشيخ عدة قبل وفاته بستة أشهر إلى أحد أتباعه بأسلوب لا يخلو من الفكاهة ما يلي: "تعلم أنني لا أبقى أبدا دون رعاية نظرا للأمراض العديدة التي أعاني منها. فالمرض ينتابني كل مرة بشكل مغاير إلى حد أن يظهر علي تأثيرين أو ثلاث من المرض. وكأن الأمراض تريد أن تكون من الفقراء التابعين لي من شدة ملازمتها لي. إنه تعلق حقيقي" (خطاب/ جانفي 1952). إنها لا تثبط عزيمة عباد الله. وكان يجيب أتباعه الذين يطلبون منه أن يرتاح، والابتسامه تملو وجهه، "فليفعل المرض فعلته ولأكمل أنا عملي!". إذ استكمل زيارته المرهقة والمضرة بصحته نظرا للحلويات وأكواب الشاي التي كان الفقراء يقدمونها له بحب والتي كان يأبى أن يرفضها حبا بهم. وينقل ايميل ديرمنغام عن الشيخ أنه "كان يتراأس قبل وفاته اجتماع الإخوان حينما قصده الناس، لأن زانية تقطن الحي المحافظ كانت قد توفيت ولم يقبل أي إمام أن يحضر الجنازة. فسارع الشيخ لحمل الجثمان وأداء صلاة الجنازة حيث قال إنه قد جاء إلى تلمسان بمشيئة الله كي يقيم الصلاة على هذه المسكينة".

ويصف عبد الله رضا إحدى زيارته فيقول: "حين وصولنا إلى تلمسان في طريق العودة، لاحظت التعب باديا على الشيخ، إذ كان محموما ويعاني من آلام في الحلق. في اليوم الموالي، لم يقو شيخنا المسكين على الوقوف. وقد استلزم الأمر أن يحمله اثنان منا إلى السيارة. إذ ارتفعت حرارته ولم يستطع الكلام بسبب الالتهاب الذي كان يحس به في حلقه. بيد أن هذا كله لم يمنعه من المرور بسيدي بلعباس حيث كان الفقراء بانتظاره. لم يكن ليخيب أملهم فيه مهما كان. فقد تحدث الشيخ وضحك وأنشد لمدة خمسة ساعات كاملة بالرغم من أن الحمى كانت تنخر عظامه، وقد أذهل مريديه بحالته تلك. وحينما انطلقت السيارة باتجاه وهران، كان المريدون في سيدي بلعباس سعداء جدا، لكن الشيخ المنهك كان فاقدا للوعي على المقعد. وكان المريدون سعداء لكن الشيخ الجليل كان خائر القوى. كان شمعة تذوب لتتير عقول الحاضرين. رغم كل ذلك، كان ينعزل في ركن من أركان الزاوية، كعادته، ليستقبل الزوار. كأنه لا يظهر المرض إلا أمامنا، أمام من يعيشون حوله". (رسالة 27 أوت 1948).

لقد أدى الشيخ آخر جولة له إلى الشرق ومنطقة القبائل. وتوفي بعدها بشهر واحد وهو لم يتعد سن الرابعة والخمسين، وحصل ذلك في 4 من شهر جويلية 1952.

"ما من أحد عرف الشيخ عدة بن تونس فنسيه. فالبرغم من وفاته، سيبقى حيا في ذاكرة كل مريديه ومن عرفوه" (الشيخ خالد بن تونس، تألف القلوب، منشورات 'لوروليه').

وقد حمل الشيخ الحاج المهدي أكبر أبنائه لواء الطريقة بعد وفاته ببأس وعزم في الوقت الذي كانت فيه الجزائر تمر بحرب تحرير طويلة ومريرة لتحصل أخيرا على استقلالها بعد مرور عشرة سنوات من وفاة الشيخ عدة.

أجل يا إخواني، إني أحب السود رغم كوني رجلا أبيض، حتى أنني قررت بعد وفاة شيخنا الروحي الجليل، الولي الصالح العلاوي، أن أترك عائلتي وبلادي لأستقر بإفريقيا للعيش مع السود، ليس لكونهم سودا بل لأنهم استعبدوا. ولما كنت أنا عبدا لله فقد أحببت العبيد. لو كان الناس عقلاء لكانوا قد قبلوا طوعا أن يكونوا عبيدا. وأنا أقول إن لم نتجاوز في حياتنا مقام العبيد لما وصلنا يوما إلى مقام السيد"

(أحباب الإسلام، العدد 36، مستغانم).



مقدم المالي



صورة الوداع - 1951

مؤلفات الشيخ

تخليداً لذكرى سيده وشيخه، ألف الشيخ سنة 1936 كتاباً عن حياة الشيخ العلاوي وأعماله أسماه "الروضة السنوية في المآثر العلاوية". وقد ألهم هذا الكتاب كثيراً الكاتبة مارتين لينجز حين تأليفه لمؤلفه الشهير الذي نقل إلى لغات عدة (Le Cheikh Ahmed al-Alawi, Un saint soufi du XX^e siècle).

وللشيخ مؤلفات أخرى عن التصوف والإسلام، هي:

- فك العقال: كتاب يتناول تصريف الأفعال المعتلة، المطبعة العلاوية، 1995.

- الذكر الملائم: لم يستكمل، المطبعة العلاوية.

- الدررة البهية في أرواد الطريقة العلاوية: دروس الشيخ حول الورد العام والورد الخاص، المطبعة العلاوية.

- مجالس التذكير في تهذيب الروح وتربية الضمير: ديوان مقالات الشيخ الصادرة في البلاغ والمرشد، نشر في وقت الشيخ المهدي، المطبعة العلاوية.

- آيات المحبين: ديوان الشعر الصوفي الذي أصبح مديحاً شعائرياً للطريقة، المطبعة العلاوية.

- تنبيه القراء إلى كفاح مجلة المرشد الغراء، كتيب يحمل مقالات صادرة في مجلة المرشد، المطبعة العلاوية.

- وقاية الذاكرين من غواية الغافلين، كتيب عن الذكر والأحاديث المتصلة به. أورد الشيخ فيه أركان الطريقة، المطبعة العلاوية.

- العقيدة الإسلامية (Le Dogme de l'Islam)، كتبه الشيخ العلاوي باللغة الفرنسية وأثراه الشيخ عدة، المطبعة العلاوية، 1947.

بيد أن عظمة وعمق تفكير شيخ مستغانم الثاني تعود للمعادلة الناجحة للعمق الميتافيزيقي المعبر عنه ببساطة ووضوح وكونه متاحاً للجميع. وهذا ما يتجلى أساساً في مقالاته ورسائله التي ولحسناً الحظ قد حفظت بفضل الشهود من أقربائه ومريديه وغيرهم ممن عرفه أمثال اميل ديرمنغام وليون نوفو وليون لونغلي وجون غابرييل بروسية وألفونس ايزار... الذين عملوا على جمع ونشر عدد كبير منها.

وقد فضل ليون لونغلي، المدير الشرقي لمستشفيات الجزائر، جمع قصص الأثر في "هكذا حدثني السي الحاج عدة" الصادر في دورية أحباب الإسلام في عددها الثاني.

فقد جمع ألفونس ايزار في كتابه "المسيح روح الله" (Jésus, Ame de Dieu) دروس الشيخ عن المسيح التي أولى لها مكانة خاصة.

المقالات

لا زالت مقالات الشيخ الصادرة في لسان الدين والبلاغ والمرشد في بداية القرن العشرين صالحة حتى هذا الزمان كما أنها لم تفقد حصافتها إلى يومنا هذا. فهي توضح المشاكل التي يتعرض لها الإسلام حالياً كما تصحح الجهل الذي تقوم عليه نظرة الغرب للعالم الإسلامي. فهذا الشيخ ذو الرفعة الروحية، النبيه لمشاكل عصره قد أضحى مريباً روحياً فذاً، ومصلاًحاً حكيماً ومحللاً متبصراً لحال العالم والحلول التي يقتضيها إرساء السلام والازدهار للجميع.

لقد جمعت مقالاته في كتاب من أربعة فصول (مرقون بالفرنسية) يحمل عنوان "دليل المرشد"، صدر عن أرشيف الطريقة العلاوية.

المراسلات

صحيح أن مراسلات الشيخ قد انطوت على طابع خصوصي، إلا أنها لا تخلو من العالمية. إذ يبرز حب الشيخ الحقيقي لكل من يقصده في كل كلمة اكتنفتها أجوبته المفعمة بروح الفكاهة واللفظ على ما يردده من أسئلة الرجال والنساء والمريدين وغيرهم خلال ترحاله الروحي؛ بل يتجلى فيها أو بالأحرى "تندوق" فيها كيفية إرشاد الشيخ المتصوف، في كل خطوة وبرقة متناهية، القلوب التي تبحث عن الحقيقة بصدق. لكن لم يطبع معظم هذه المراسلات. أما بعضها الذي انطوى على طابع العمومية فقد نشرت في أيامه في مجلة المرشد. فيما رقت جزء من المراسلات المكتوبة باللغة الفرنسية وحفظها في الأرشيف ضمن ملف سمي مؤقتاً "رسائل إلى فقير".



ضريح الشيخ سيدي الحاج عدة



الدفن - 5 يوليو 1952

الشيخ خالد بن تونس

"لم يتجاوز عمري الثلاث سنوات حينها، ولا أزال أحمل في ذاكرتي تلك الصورة الحية التي لا تفارق ذهني وكأنها تظهر من وراء غمامة: صورة رجل تعلق وجهه ابتسامة عريضة تحليها لحية بيضاء كنت أشدها كلما ذهبت لأقبله.

يوم جنازته، دخلت الزاوية في حالة من التأثر، فقد بكاه عدد كبير من النساء والرجال. وكان نحيبهم الممزوج بالمدايح وتلاوة القرآن يتجلجل في كل الأرجاء.

يومها لم أفهم ما حصل، فكنت أجوب الغرف مرعوباً أبحث عن المواساة والحماية عند مربيتي التي حاولت عبثاً أن تشرح لي أمراً لم أكن لأستوعبه."



اجتماع كل الطوائف: مسلمون، نصارى ويهود لتشييع جنازته



الشيخ عدة، المحبة المجسدة